قراءة نفسية نقدية في حديقة الغروب لغازي القصيبي

د. سامية بنت عبدالله محمد العمري
أستاذ الأدب والنقد المساعد بجامعة الملك عبدالعزيز
كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالفيصلية
قسم اللغة العربية وآدابها

الملخص

موضوع البحث:قراءة نقدية نفسية في حديقة الغروب لغازي القصيبي

أهداف البحث: مقاربة النص الشعري (حديقة الغروب) من المنهج النفسي للكشف عن نوازع القصيبي النفسية وحالاته الوجدانية التي تشكلت منها هذه المرثية الذاتية.

منهج البحث: المنهج النفسي مستعينا بالمنهج الأسلوبي

أهم النتائج

1- مرثية القصيبي خرجت في شكل حوار فكري على أربع لوحات مثلت أهم محاور حياته ومؤثراتها وشكلت التكوين النفسي والوجداني للشاعر.

2- حافظ القصيبي على النظام العربي القديم للقصيدة وزنا وقافية, وغني الجانب الفني في القصيدة بأنغام موسيقيةإيقاعية داخلية وخارجية, وتزينت بالصور الشعرية المبتكرة التي اعتمدت الطبيعة ملهماً أولا لها, مع تنوع للتراكيب و البني , فتضافرت كل تلك المعطيات وخلقت للقصيدة دلالات نفسية ووجدانية.

أهم التوصيات:

يوصي البحث بالتوسع في الدراسات التي تربط الحقل الأدبي بالحقل النفسي للكشف عن تجليات تأثير كل منهما في الآخر , ولاسيما في الموضوعات الإنسانية ك الرثاء وتطبيق مثل تلك الدراسات على أدبنا العربي قديمه وحديثه .

الكلمات المفتاحية:القصيبي , النفسية, رثاء النفس.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين , والصلاة والسلام على المبعوث الأمين وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أما بعد:

فالأدب نشاط إنساني , مارسه الإنسان منذ الأزل على مختلف العصور , واستطاع من خلاله التعبير عن نفسه وحاجاته ورغباته ومكنوناته, فضلا عن أنه استطاع من خلاله أن يعبر عن مجتمعه وتاريخه وبيئته, متجاوبا مع كل المعطيات المحيطة به قوة وضعفا , وحياة وخمودا, ومع هذا التفاعل والتجاوب توطدت العلاقة بين

تعديل من خلال WPS Office

النص الأدبي وعلم النفس ,وأصبح كل منهما مؤثراً في صاحبه, متجهان في طريق واحدة للتعبير عن الجوانب الإنسانية في الحياة وتفسيرها.

وتجاوز المبدعون حدود التعبير عن الحياة والتفتوا إلى مابعدها فشغلتهم فكرة الموت وعبروا عنها وتفاعلوا معها ,فرثوا أحبابهم وأصحابهم وذويهم, ثم انطلقوا لأ بعد من ذلك فرثوا ذواتهم في قصائد خلدها التاريخ , وأحدثت في نفوس متلقيها أكبر الأثر,إذ إن رثاء الذات من أكثر الموضوعات الشعرية وأصدقها تعبيرا عن النفس وكنهها وأبعادها.

وفن رثاء النفس قديم في الأدب العربي مارسه شعراء الجاهلية كامرئ القيس وطرفة بن العبد , وعبد يغوث الحارثي وغيرهم, واستمر كذلك في الأدب الإسلا مي كرثاء مالك بن الريب نفسه وغيره من الشعراء, وتوارد الشعراء العرب على حوض المعاني القديمة حتى عصرنا الحديث إذ تمثل الشاعر السعودي الراحل غازي القصيبي- رحمه الله- كثيراً من المعاني الشعرية القديمة , فنظم فيها وأبدع وأمتع, وكانت قصيدة (حديقة الغروب)في رثاء الذات من أبرز قصائد القصيبي وأطلق اسمها على ديوانه كاملا ً, وتأسيساً على علاقة الأدب بعلم النفس تم اختيار هذه الفريدة من فرائد القصيبي والتي ختم بها تاريخه الشعري في الأدب السعودي الحديث , بكل ما اشتملت عليه من أبعاد نفسية تنازعت الشاعر واعترته فخلقت هذه المرثية.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في الكشف عن تأثير النوازع النفسية والوجدانية في النص الشعري شكلا ومضموناً,من خلال تجلي العلاقة الفاعلة بين علم النفس والأدب.

حدود البحث:

يقوم البحث على دراسة قصيدة (حديقة الغروب) دراسة نقدية نفسية ,من خلال ديوان الشاعر المعنون باسمها.

أهداف البحث:

تهدف هذه الدراسة إلى مقاربة النص الشعري بالمنهج النفسي الذي يتجاوز الخوض في الأمور الخارجية متجها إلى باطن النص ,و مهتما بالشاعر نفسه, للكشف عن نوازعه النفسية وحالاته الوجدانية من خلال نصه.

منهج البحث وإجراءاته:

اعتمدت الدراسة المنهج النفسي مستعينة بالمنهج الأسلوبي للكشف عن كوامن

تعديل من خلال WPS Office

القصيدة الفكرية والأسلوبية.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة وثبت بالمصادر والمراجع على النحو التالي:المقدمة : تتضمن: التعريف بموضوع البحث , ومشكلته, وأهدافه, ومنهج البحث , وخطته.

التمهيد: يتضمن :1- النص الأدبي وعلم النفس 2- القصيبي الشاعر والإنسان

المبحث الأول بعنوان : البناء الفكري ودلالاته النفسية ,على أربع لوحات:

حديث النفس, حديث الصاحبة , حديث الوطن , مناجاة الله

المبحث الثاني : البناء الأسلوبي ودلالاته النفسية ,ويتضمن:

المستوى الصوتي والإيقاعي, المستوى التركيبي, المستوى التصويري.

ثم الخاتمة,فيها أهم النتائج

ثبت بالمصادر والمراجع

التمهيد

1- النص الأدبي وعلم النفس

الأدب " طريق من طرق الكشف عن أسرار النفس البشرية , فهو من حيث مصدره يعكس في طياته صور الشخصية التي أبدعته وملامح البيئة الاجتماعية والفكرية التي يعيش فيها مبدعه, وهو من حيث مادته يضع أمام قارئه أنماطاً من السلوك وطرازاً من الأشخاص ونماذج من قضايا الصراع الداخلي الذي ينشب بين الرغبات والأهواء والقيم الإنسانية , وهو من حيث نسجه وصياغته يضيف جديداً إلى الثروة الفنية التي تؤلف رافدا من روافد التراث الإنساني , وهو بهذا كله يتصل اتصا

تعديل من خلال WPS Office

لا طبيعيا بالألوان الأخرى من الفن – من جهة- وبالدراسات الإنسانية من نفس واجتماع وجمال وغيرها – من جهة أخرى- يؤثر فيها وتؤثر فيه ويفيد منها وتفيد منه"([1]) وعلى ذلك كانت " العلاقة بين النقد الأدبي والدراسات النفسية التجريبية منها أو التحليلية علاقة وثيقة جداً , حيث إن الدراسات النفسية فرع من العلوم الإ نسانية التي تدرس نشاط الإنسان بوصفه إنساناً, كالفلسفة والتاريخ وعلوم اللغة و النفس وغيرها"([2]).

وتعددت المناهج النقدية التي تناولت النص الأدبي درسا وتحليلا , من خلال الكشف عن عناصره الشعورية والتعبيرية ,وقد كان لعلم النفس دور كبير في دراسة تلك العناصر ذلك أن الأدب ماهو إلا استجابة لمؤثرات خاصة صادرة عن بواعث نفسية.

ولاشك أن نظرية النص الأدبي والتحليل النفسي تقدم كل منهما المعرفة للأخرى ,إذ إن الوضع الحقيقي للمحلل النفسي يصبح داخل النص وليس خارجه وعليه يتلاشى التعارض الواضح والحدود الصارمة بين الأدب والتحليل النفسي((3).

وقد انتهى علماء النفس ونقاد الأدب إلى إلى أنه" لاتعارض بين علم النفس والأدب, فعلم النفس علم بالكليات كسائر العلوم,والأدب معرفة بالمفردات كسائر الفنون"([4])

وعلى ذلك نشأ مايسمى بالمنهج النفسي في دراسة الأدب والذي يعد "فتحاً جديداً في مجال النقد الأدبي الحديث, بوصفه مجالا ً جديداً يعطي للعلم أو يحاول أن يعطي للعلم فرصة الحكم أو تفسير العمل الأدبي بعيداً عن الذاتية والانطباعية أو السياقية"([5]) وذلك بعدة طرق يمكن من خلالها لعلم النفس أن يدخل في النقد الأ دبي"فهو يستطيع أن يعين على تفسير عملية الخلق بعامة, ويستطيع أن يهيئ وسيلة للكشف عن الأثر الأدبي بالإشارة إلى حياة صاحبه والعكس, ويستطيع أن يعين على جلاء المعنى الحقيقي في نص ما,وهو ليس معيارياً بصورة مباشرة في أية واحدة من هذه المعاني"([6])

2- غازي القصيبي الإنسان والشاعر:

ولد غازي بن عبدالرحمن القصيبي (رحمه الله) في الهفوف بالأحساء ,عام 1359هـ , ثم اقتضت ظروف عائلته أن ينتقل إلى البحرين للإقامة هناك فكانت المنامة هي المدينة الثانية بعد الهفوف وكان عمره آنذاك ست سنوات, وبقي في المنامة عشر سنين ([7]) أتم فيها دراسته في المراحل الأولى , فقال عنها " الدراسة في البحرين أيامها كانت مقسمة إلى مراحل ثلاث : الحديقة وتتكون من ثلاث سنوات,فالا

[1]- من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده ,أحمد, (219)
[2]- الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي أصوله وقضاياه, أبوالرضا, (9)
[3]- ينظر:الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي , فيدوح(48)
[4]- علم النفس والأدب, الدروبي(8)
[5]- النقد الأدبي الحديث بداياته وتطوراته, القاعود(243)
[6]- مناهج النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق, ديتشس(544)
[7]- غازي القصيبي حياته ومختارات من شعره, الصفراني(6)

تعديل من خلال WPS Office

ابتدائية وتتكون من أربع سنوات, أما التوجيهية فكان لابد من السفر إلى خارج البحرين للحصول عليها"([8]) ومع صيف 1956م أنهى القصيبي دراسته في البحرين وانتقل إلى القاهرة ملتحقا بالمدرسة السعيدية طالباً بالتوجيهية, ثم بكلية الحقوق في جامعة القاهرة([9]).

وفي صيف سنة 1961م أنهى القصيبي دراسته في كلية الحقوق وتردد لفترة قصيرة بين فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة , ثم استقر رأيه على الأخيرة في أواخر عام 1961م إذ سافر إلى كاليفورنيا وبدأ مرحلة جديدة ومثيرة في حياته وشعره على حد سواء([10]), في خريف سنة 1964م حصل القصيبي على الماجستير وعاد إلى الوطن ليعمل في عام 1965م أستاذاً في قسم العلوم السياسية كلية التجارة في جامعة الرياض (الملك سعود)([11]).

وفي صيف 1967م انتقل القصيبي إلى لندن للحصول على درجة الدكتوراه وحصل عليها عام 1970([12]) ومن ثم عاد إلى جامعة الرياض , كلية التجارة مدرساً, فرئيساً, لقسم العلوم السياسية , فعميداً, لينتقل بعدها إلى مرحلة إدارية بعيدة تماما عن المجال الأكاديمي.([13]), وصفها القصيبي بقوله" بعد بضعة شهور من التخلي عن العمادة عرض علي الأديب الأستاذ محمد عمر توفيق وكان وقتها وزيرا للمواصلات أن أنتقل لأعمل معه مديراً عاماً لمؤسسة الخطوط الحديدية في الدمام , لقد وضعني هذا العرض أمام حيرة شديدة وكان القرار غاية في الصعوبة , لم يكن من السهل أن أترك الكلية التي عشت فيها وأحببتها فترة تقارب عشر سنوات , ولم يكن من السهل علي أن أترك التدريس ,على أنني في النهاية وجدت أنني أعطيت الكلية كل ماسمحت لي الظروف بإعطائه,ورأيت أن العمل الجديد لايخلو من إثارة وتحديات من نوع مختلف"([14]) , استمر القصيبي في المؤسسة سنة ونصف ثم عين بعدها وزيرا للصناعة والكهرباء وقضى فيها ثمان سنوات((15]

بعد ذلك عمل القصيبي وزيرا للصحة عام 1403هـ , ثم انتقل من العمل الوزاري عام 1984م إلى العمل الدبلوماسي سفيرا لبلاده في البحرين,وفي عام 1992م انتقل إلى بريطانيا سفيرا للمملكة كذلك,ثم عاد إلى المملكة العربية السعودية في عام 2003م وزيراً للمياه والكهرباء,ثم عين في عام 2005م وزيرا للعمل , وبعد معاناة

[8]- سيرة شعرية , القصيبي (16)
[9]- السابق (26)
[10]-السابق (52)
[11]- السابق (61-62)
[12]-السابق (75)
[13]-السابق (77)
[14]-السابق(95)
[15]-السابق(96)

تعديل من خلال WPS Office

مع المرض توفي في شهر رمضان من العام 1431هـ عن عمر يناهز السبعين.([16])
الحديث عن شاعرية القصيبي يقتضي بحثاً مستقلا ً , ولكن تجدر الإشارة السريعة هنا إلى بداية التكوين الشعري لديه واكتماله , ولعل خير ما يفصح عن حقيقة ذلك قوله :"لقد بدأت قراءاتي الشعرية في حوالي الثانية عشرة بشاعرين مفضلين هما شوقي وحافظ,وأتصور الآن أن مرجع هذا الإعجاب هو تأثير الأساتذة المصريين الذين كانوا يدرسوننا اللغة العربية وآدابها, وفي سن الرابعة عشرة اكتشفت شاعرا مفضلا ثالثا هو محمد مهدي الجواهري , وعندما أعود اليوم إلى قصائديالوطنية الأولى أجد تأثير هذا الشاعر واضحا ملموسا"([17]) ويواصل القصيبي الحديث عن الشعراء المؤثرين في حياته الأدبية وكان أكثرهم تأثيرا الشاعر عمر أبوريشة , يقول :" ثم التقيت بشعر عمر أبي ريشة وقد دلني عليه الصديق القديم العزيز علي سيار, صاحب جريدة صدى الأسبوع في البحرين, وكان أيامها يحرر جريدة القافلة التي كنت أنشر فيها قصائدي, وكان لقائي بعمر أبي ريشة نقطة تحول في مساري الشعري, ولعلي لا أعدو الحقيقة إذا قلت : إنني تأثرت به أكثر من أي شاعر آخر"([18]) ويتابع " وفي المرحلة نفسها بدأت القراءة لنزار قباني وعن طريقه اكتشفت عالم الشعر الحديث المتحرر من رتابةالتفعيلة , وتوطدت علاقتي مع اللغة الشعرية الجديدة التي اكتشفتها أول مرة عند أبي ريشة"([19])
ثم أشار القصيبي إلى تأثره بعد ذلك بالشابي والأخطل الصغير , ثم اكتشافه وهو في السادسة عشرة من العمر للشاعر ابراهيم ناجي, وإعجابه الشديد به,ثم ازدادت صلته بالشعر الحديث المتحرر من خلال تعرفه على بدر شاكر السياب الذي نجح في المزاوجة بين التراث والتجديد, فضلا عن قراءته في الشعر العربي القديم بدءا ب المعلقات فالشعر الإسلامي فالأموي فالعباسي حتى عصور الانحطاط.([20]) لقد كانت للقصيبي :" رؤية شعرية ثاقبة مكنته من بناء تجربة شعرية راسخة النضوج, وتتجلى رؤية القصيبي الشعرية في جوانب متعددة من أبرزها مفهومه للشعر و الشاعر ومكانتهما ودورهما في العصر الحديث, إلى جانب موقفه من قضايا فنية مهمة مثل الغموض والرمز والالتزام, والبعد الاجتماعي للشعر"([21])

[16]-غازي القصيبي حياته ومختارات من شعره (7)
[17]- سيرة شعرية (31)
[18]-السابق (32)
[19]-السابق (33)
[20]- ينظر السابق (33-36)
[21]- غازي القصيبي حياته وشعره (7)

تعديل من خلال WPS Office

المبحث الأول

البناء الفكري ودلالاته النفسية

أولا : حديث الذات ([22])

خمسٌ وستون في أجفان إعصار أما سئمت ارتحالا أيها الساري ؟

أما مللت من الأسفار ما هدأت إلا وألقتك في وعثاء أسفار؟

أما تعبت من الأعداء ما برحوا يحاورونك بالكبريت والنار؟

والصحب؟ أين رفاق العمر هل بقيت سوى ثمالة أيام وتذكار؟

بلى اكتفيت وأضناني السرى وشكا قلبي العناء ولكن تلك أقداري

بدأ القصيبي قصيدته بتحديد سنوات الحياة التي قضاها بقوله (خمس وستون) وقد توفي وهو في السبعين من العمر , مما يشير إلى أنهقد كتب هذه القصيدة قبل وفاته بخمس سنوات , بيد أنه استطاع أن يبلغ فيها مبلغ الرثاء الصادق إذ بدأ يعاني المرض, مستشعرا دنو أجله, وقد استهلها متسائلا عن جدوى الحياة بعد رحلة طويلة ,من خلال حوار مع الذات التي جاءت بصيغة المجهول , وكأنه يختص بتلك الأسئلة كل من يسمعها , معبرا عن سنوات عمره الخمس وستين بمفهومين متناقضين بين الجفن وهو غطاء العين الذي يقيها من أي سوء, والإعصار الذي يعصف بكل مايأتي عليه , وكأن حياته كانت مرهونة بين السعادة و الشقاء, وبين الاستقرار والشتات, بل وبين الأمن والخوف, ثم تنبري التساؤلات عندالشاعر حول قيمةالحياة بعد هذه الرحلة المكبلة بالتعب والصراع , مستخدما المصطلحات المشيرة إلى فكرة الرحيل (ارتحالا- الساري- الأسفار) وتكرار هذا المفهوم بألفاظ مترادفة دليل على إلحاح هذه الفكرة في نفس الشاعر, وهي فكرة ربطها بعد كل تلك السنوات بالرحيل إلى الموت .

لقد تجلت ثورة الرومانتيكيين في مطلع القصيدة ,إذ اعتمدت على العاطفة الذاتية والشعور الفردي "وهذه الذاتية الرومانتيكية لها خصائص تتجلى على الأخص في عدم الرضا بالحياة في عصرهم, وفي القلق أمام عالمهم وما يعج به من الأحداث, وفي الحزن الغالب على أنفسهم"([23]), بل إن القصيبي قد أشار إلى سيطرة الحزن في أشعاره معللا لذلك بقوله:" وأرجو أن يسمح لي القارئ هنا أن أذكر نبذة من سيرتي الشخصية تساعد إلى حد ما في تفسير مشاعرالحزن والضياع التي تتجلى في كثير من شعري.... لقد ولدت في أحضان بيئة نفسية حزينة....أعتقد أن هذا الجو المأساوي الذي أحاط بولادتي وبنشأتي الأولى قد ترك بصمات لاتنمحي في أعماقي من الكآبة الخفية , وإذا كنت قد نجحت في إخفائها حتى عن أقرب الناس

[22]- حديقة الغروب, القصيبي, (13)

[23] - الرومانتيكية, هلال (47)

تعديل من خلال WPS Office

إلي فإنها- فيما يبدو- قد نجحت في التسلل إلى أشعاري"([24]), ويبدو هذا الحزن جلياً في رثائه نفسه, إذ يبدأ بفكرة الرضا التام بالرحلةالأخيرة بعد حياة مليئة بالا رتحال الدائم ,منطلقا في تعليل رضاه من دائرة الحياة الكبرى التي ألقته دائما في وعثاء الأسفار , ثم دائرة الأعداء الذين أجادوا خلق الشعور بالقهر المجتمعي في نفسه, وهو يقاوم هجومهم المستمر والذي عبر عنه بأقوى الأسلحة (الكبريت و النار) ,ثم دائرة الأصدقاء الذين تلاشوا من حوله ولم يبق منهم إلا بعض ذكرى ,لينته بعد ذلك إلى الإجابة المنطقية التي ولدت من لحظات التأمل فيما مضى من تساؤلات مظهراً هدوءً نفسياًانبعث من إيمانه بالأقدار:

بلى اكتفيت وأضناني السرى وشكا قلبي العناء ولكن تلك أقداري

ثانيا: حديث الصاحبة:([25])

أيا رفيقة دربي لو لدي سوى عمري لقلت فدى عينيك أعماري

أحببتني وشبابي في فتوته وما تغيرت والأوجاع سماري

منحتني من كنوز الحب أنفسها وكنت لولا نداك الجائع العاري

ماذا أقول وددت البحر قافيتي والغيم محبرتي والأفق أشعاري

إن ساءلوك فقولي كان يعشقني بكل مافيه من عنف وإصرار

وكان يأوي إلى قلبي ويسكنه وكان يحمل في أضلاعه داري

وإن مضيت فقولي لم يكن بطلا لكنه لم يقبل جبهة العار

وأنت يابنت فجر في تنفسه مافي الأنوثة من سحر وأسرار

ماذا تريدين مني إنني شبح يهيم مابين أغلال وأسوار

هذي حديقة عمري في الغروب كما رأيت مرعى خريف جائع ضار

الطير هاجر والأغصان شاحبة والورد أطرق يبكي عهد آذار

لاتتبعيني دعيني واقرئي كتبي فبين أوراقها تلقاك أخباري

وإن مضيت فقولي لم يكن بطلا وكان يمزج أطوارا بأطوار

مع إحساس القصيبي بالاغتراب النفسي وحديثه عن رحلة الخمسة وستين عاماً, ومالاقى فيها من نزاعات نفسية واجتماعية , تختلط تلك الأحاسيس بمشاعره نحو المرأة التي رافقته تلك الرحلة منذ فتوة الشباب حتى النزاع مع الموت , فهي

[24]- سيرة شعرية (47)
[25]- حديقة الغروب (14)

تعديل من خلال WPS Office

السكن في وحشة ذلك الاغتراب , وهي الحقيقة الثابتة الصادقة في زمن المتغيرات , لقد أغدق القصيبي على زوجته فيضاً من صفات الوفاء والإخلاص و العطاء , ولأجل ذلك كله كانت هي المستحق الوحيدفي أن تسخر لها كل القصائد.
لقد بدأ حديثه عن زوجته بجملة من الصفات التي تجعلها جديرة بذلك الحب العاصف الطاغي الذي عبر عنه قائلا:

إن ساءلوك فقولي كان يعشقني بكل مافيه من عنف وإصرار
وكان يأوي إلى قلبي ويسكنه وكان يحمل في أضلاعه داري

ليختم حديثه المباشر مع زوجته بإعطائها إجابة لسؤال قد يرد إليها بعد وفاته:

وإن مضيت فقولي لم يكن بطلا لكنه لم يقبل جبهة العار

مشيرا إلى أنه قضى حياته مخلصا لدينه ووطنه ولم يطأطئ رأسه للعار.

ثم ينتقل القصيبي بعد هذا البيت من المباشرة في خطاب الزوجة إلى الرمز في الحديث عن امرأة أخرى- قد تكون زوجته أو أحدى النساء اللاتي اعتاد تواجدهن كمعجبات بشعره وشخصه- , معبرا عن تلك المرأة بلفظ (البنت) مما يوحي بحداثة سنها, مع ماتميزت به من سحر الأنوثة , متعجباً من تعلقها به وهو في خريف العمر كالشبح الهائم بين الأغلال, بيد أن حديثه ولغته مع هذه البنت اختلف تماما عن حديثه الرقيق المحب مع زوجته فهو في عتاب مع هذه المرأة التي مازالت ترنو إليه بالرغم من غروب الشمس عن حديقة عمره , وماتبع ذلك من هجرة للطيور ,و وشحوب الأغصان, وبكاء الورد على ذكرى آذار , في لوحة قاتمة يفضي من خلالها إلى نصيحة يراها أجدى نفعا :

لاتتبعيني دعيني واقرئي كتبي فبين أوراقها تلقاك أخباري

وينهي القصيبي ببيت كان قد أشار لمثله في حوار الزوجة :

وإن مضيت فقولي لم يكن بطلا وكان يمزج أطوارا بأطوار

بيد أن صوت الاعتداد بالذات, والتقدير العالي لها, جاء هنا أقل توهجا من سابقه إذ يعترف بأن حياته كانت مزيجا بين الصواب والخطأ ,و هذا البيت- مع مافيه من تكرار لفظي ومعنوي- قد يوحي بأن زوجته كانت هي المقصودة ب (البنت) في إشارة منه إلى أنها مازالت فتية جميلة – في عينيه- وكأن سنوات العمر قد سارت به فيم بقيت هي في ريعان الشباب , وفي وهج إعجابها به بالرغم من كل الظروف وكان الرابط بين حديث الزوجة المباشر وحديث ال(بنت)الرمز هو تكرار هذا البيت.
إن استحضار المرأة في قصيدة رثاء النفس ليست بدعا من عمل القصيبي بل لقد حفل التراث العربي قديما وحديثا بمثل هذا الحضور للمرأة بجوار الذات المنتظرة للفناء , وكأن هذه المرأة هي الصورة الجميلة المتبقية مع الشاعر حتى في رحلة الموت, أم أنه يؤمن بأنها ستكون النائحة الباكية على فراقه عندما لايستحضر ذكره الآخرون؟

تعديل من خلال WPS Office

وقد أشار امرؤ القيس في حديثه عن الموت إلى المرأة بقوله:([26])

أجَـارتنَا إنّ الخُطُوبَ تن ـوبُوإني مُقيمٌ ما أقـامَ عسيبُ
أجَـارتنَا إنّـا غريب ـان هَهُنَا وكلّ غريبٍ للغريبِ نسيبُ
وليس غريبًا مَنْ تناءت دِيارُهُولكنمَنْ وَارَى التُراب غريبُ

كما أشار طرفة بن العبد إلى خولة وهو في انتظار تنفيذ حكم الموت الذي أصدره بحقه والي البحرين فقال([27]):

ألا اعتزليني اليوم خولة أو غُضِّي قفد نزلتْ حدباءُ مُحكمـة القبضِ
أزالتْ فؤادي عن مَقَـرّ مكانهوأضحى جَناحي اليومَ ليسَ بِذي نهضِ

واستحضر مالك بن الريب ابنته ووالدته كرمز للمرأة المتفجعة على وفاته ([28]):

تقول ابنتي لما رأت طول رحلتي سفارك هذا تاركي لا أبا ليا

فياليت شعري هل بكت أم مالك كما كنت لو عالوا نعيك باكيا

إذا مت فاعتادي القبور وسلمي على الرمس أسقيت السحاب الغواديا

ومثله فعل لبيد بن ربيعة متحدثا عن ابنتيه في رثاء نفسه([29]):

تمنى ابنتاي أن يعيش أبوهما وهل أنا إلا من ربيعة أو مضر

فإن حان يوم أن يموت أبوكما فلا تخمشا وجها ولا تحلقا شعر

وقولا : هو المرء الذي لا خليله أضاع ولا خان الصديق ولاغدر

ولعل فكرة الوصايا للمرأة بخلاف كونها أما أواختا أو زوجة أو حبيبة تكررت عند أكثر من شاعر وألهمت لقصيبي .

ثالثا: حديث الوطن ([30])

ويابلادا نذرت العمر زهرته لعزها دمت إني حان إبحاري
تركت بين رمال البيد أغنيتي وعند شاطئك المسحور أسماري
إن ساءلوك فقولي لم أبع قلمي ولم أدنس بسوق الزيف أفكاري
وإن مضيت فقولي لم يكن بطلا وكان طفلي ومحبوبي وقيثاري

الحديث عن المرأة وهي السكن الروحي يفضي إلى الحديث عن السكن الأكبر وهو الوطن الذي لايقل شأنا في نفس الإنسان عن الزوجة والولد.ويختار للتعبير عنه مصطلح (البلاد) لاشتمال هذا اللفظ على كل مكان فيها "عامر أو غير عامر,

[26]- ديوان امرؤ القيس , الشافي(49)
[27]- ديوان طرفة بن العبد,ناصر الدين (53)
[28]- ديوان مالك بن الريب, القيسي(89)
[29]- ديوان لبيد بن ربيعة (79)
[30]- حديقة الغروب (17)

تعديل من خلال WPS Office

خال أو مسكون"([31]) فيم لم يكتف بلفظ الوطن لأنه يقتصر على "المنزل يقيم به ا لإنسان"([32])

لقد عبر القصيبي عن ولائه لبلاده بذاك العمر الذي نذر شبابه لعزه وشموخه,واليوم وقد بلغ من العمر مبلغه حانت رحلة الإبحار والفراق , لكنه لن يبحر بلا أثر يتركه إذ ترك قصائده وأغانيه تتردد بين رمال هذا البلد المترامي الأطراف وهو يكتنفه في قصيدته ببحره و بيدائه, وكما قدم لزوجته وصيته, يقدم أيضا لوطنه وصية أخرى مشابهة ,يشهده فيها على إخلاصه الذي لم تجرفه التيارات ولم يدنس يوما يزيف المعتقدات بيد أن ذلك الانتماء لم يكن بطوليا وإنما كان كانتماء الطفل لأمه , والمحبوب لمحبه,والقيثارة لعازفها, انتماء صادقاً لم يخالطه زيف أو زهو أو تملق, انتماء محفوفا بالرضى عما أخذه من بلاده وعما قدم لها.

رابعا: مناجاة الله([33]):

ياعالم الغيب ذنبي أنت تعرفه وأنت تعلم إعلاني وإسراري

وأنت أدرى بإيمان مننت به علي ما خدشته كل أوزاري

أحببت لقياك حسن الظن يشفع لي أيرتجى العفو إلا عند غفار

للشعر قيمة إنسانية تفوق القيمة اللفظية أو الفنية , والقصيدة الناجحة بناء حي لا يقف عند حدود الأبيات المتناثرة التي لايلتزمها إلا الوزن والقافية, وقد أشارتإليزابيث درو إلى الوحدة الشعرية بقولها:هي" بناء عضوي قام على أساس تنظيم الانفعالات وإخضاع التعدد للوحدة واستخراج النظام من الفوضى"([34]) وقد استطاع القصيبي بجدارة أن يحيل مرثيته إلى وحدة متكاملة منذ مطلعها حتى نهايتها , منتظمة بخيط نفسي وشعوري أسهم في التحام كل ماهو جزئي بالكلي , منخلال العلاقة الوثيقة بين الحالة الفكرية والعاطفية في القصيدة, تلك الحالة التي جاءت في صورة الهدوء التام والرضى الذي بلغ أقصاه في مناجاة الله عز وجل, وهي الأبيات التي ختم بها مرثيته الذاتية عندما يختار لله اسم (عالم الغيب) ليناجيه به ,إذ إنه يتحدث عن أجل يختبئ وراء علم الغيب الذي لايعرفه إلا الله , كما يعترف أيضا بذنوب تتوارى خلف كنه الله سبحانه ,إن كانت في السر أو العلن.

لقد قدم القصيبي اعترافه بالذنب وتوبته عما اقترفه منه , تأدبا مع الله سبحانه وتعالى متوسلا العفو والمغفرة متقربا بذلك الإيمان الذي وإن خلطته بعض الأوزار فقد بقي ثابتا لم تتمكن من خدشه أو تدنيسه.

وأخير يبلغ الرضى والإيمان بالقضاء والقدر والهدوء النفسي غايته في البيت الأخير الذي يتمنى فيه الشاعر لقاء الله سبحانه بكل حب وشوق مع مايخالط ذلك من

---

[31]- لسان العرب (بلد)

[32]- لسان العرب (وطن)

[33]- حديقة الغروب(18)

[34]-الشعر كيف نفهمه ونتذوقة , درو(27)

تعديل من خلال WPS Office

حسن الظن بعفو الله وتجاوزه عن عباده , مستمدا ذلك من الحديث القدسي , عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم " يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي"([35])

المبحث الثاني
البناء الأسلوبي ودلالاته النفسية

1- المستوى الصوتي والإيقاعي:

" الشعر بناء صوتي إيقاعي,يتألف من تكرار منتظم لأنساق صوتية, مع إدخال تنويعات على هذا النظام تحول دون رتابته"([36]), ويمثل المستوى الصوتي الإيقاعي ركيزة أساسية في البناء الشعري يتمثل فيما :" تثيره الكلمات كأصوات أكثر مما يثيره بناء الكلمات كمعاني , وهذا التكشف للمعنى الذي نشعر به في أي قصيدة إنما هو حصيلة بناء الأصوات"([37]) والصوت بوصفه الوحدة الأولى التي ينتج تراكبها البنى النصية المتعددة التي تعتمد عليها القصيدة للوصول إلى الإيقاع الشعري,وعليه فإن التنوع في الأصوات اللغوية يفضي إلى منح النص خاصية الشعرية ,كما يسهم في إعطاء القصيدة هوية خاصة , والإيقاع" تردد ظاهرة صوتية بمافي ذلك الصمت على مسافات زمنية متساويةو ومتقابلة"([38]), وللإيقاع دور فاعل في تكوين الشعر عبر عنه أفلاطون بقوله إن:" النزعة الطبيعية إلى الانسجام والإيقاع هي الأساس في الشعر"([39]), وقد أشار ابن طباطبا قديما إلى الإيقاع بقوله"وللشعر الموزون إيقاع يطرب الفهم لصوابه, ويرد عليه من حسن تركيبه واعتدال أجزائه, فإذا اجتمع الفهم مع صحة وزن الشعر, وصحة المعنى وعذوبة اللفظ تم قبوله له واشتماله عليه"([40]) والإيقاع مفهوم " شامل للهندسة الصوتية في القصيدة ,بينما الوزن والقافية لايمثلان إلا المستوى الخارجي منه ...و الإيقاع خاصية جوهرية في الشعر نابع عن طبيعة التجربة الشعريةذاتها, وهو الأمر الذي يخلق تفاعلا عضويا بين النظام الصوتي والنظام اللغوي في القصيدة لذلك يضم الإ يقاع على مداره ضروب البديع والتكرار والقافية الداخلية وحروف المد والهمس و الجهر, ومدى التآلف بين هذه العناصر نفسها من جهة وتناغمها مع تجربة الشاعر من

---

[35] - صحيح البخاري, كتاب التوحيد, باب قوله تعالى (ويحذركم الله نفسه)
[36]- مستويات البناء الشعري عند محمد أبوسنة(دراسة في بلاغة النص), الطوانسي, (17)
[37]- الاتجاه الأسلوبي البنيوي في نقد الشعر العربي, قاسم, (166)
[38]- الروافد المستطرقة بين جدليات الإبداع والتلقي أحمد,(119)
[39]- فن الشعر, أرسطوطاليس, ,(13)
[40]- عيار الشعر , العلوي,(20)

تعديل من خلال WPS Office

جهة أخرى"([41])

لقد استطاع القصيبي أن يمنح قصيدته هذا التأثير من خلال الثراء الصوتي المنبعث من الحالة النفسية والشعورية لديه منذ بداية القصيدة حتى نهايتها, ومما لاشك فيه أن الأصوات تقوم بدور فاعل في تصوير انفعالات الشاعر بصورة إيحائية ,إذ يعمد إلى انتقاء مايلائمه من الأصوات للتعبير عن معانيه ومدلولاته, لذلك نجده يعتمد خاصية التكرار على مستوى الصوت والكلمة والمعنى والتركيب بل وحتى شطر البيت أحيانا , ذلك أن للتكرار أثر لافت لدى المتلقي فضلا عن أنه يكشف أسرار الحالة النفسية والشعورية لدى المبدع, "فالصورة المكررة في الشعر تتعدى الدلالة الأولى إلى دلالة ثانية بمجرد خضوعها للتكرار ، حيث نقرأ في الصورة المكررة شيئا آخر غير الذي سبق ، وهذا التكرار يسهم في عملية الإيحاء و تعميق أثر الصورة في نفس القارئ"([42])

لقد بدأ القصيبي قصيدته بحوار مع ذاته اعتمد فيه حروف الهمس جميعا ماعدا حرف الطاء , وتكررت تلك الحروف وكان أكثرها ترددا في الأبيات التاء والسين و الكاف والقاف والفاء والحاء والهاء, والصاد , فيم ورد كل من الخاء والشين مرة واحدة, وتكرار الصوت يمنحه دلالة نفسية موضوعية بل إن "الصوت المفرد لا يكون ذا قيمة موسيقية كاملة ، بل تتجلى قيمته فيما ينتجه من دلالة في موقعه تساعد المتلقي على فهم مضمون النص"([43]), وأحسن القصيبي في توظيف الحروف المهموسة لما تتميز به من صفتي الرهافة والهمس وهما صفتان تبعثان على التأمل والتقصي الدقيق([44]) بما يتفق تماما وحالته النفسية الهادئة المتأملة المنبعثة مع بداية الأبيات , لتعطي النص رهافة وسلاسة ,بعيدة عن الوعورة والجفاف , مؤتلفة مع المحتوى الوجداني الذي يبعث في النفس شعورا بالرضى والهدوء عند الشاعر, ثم تتراجع الأصوات المهموسة لتخلي للأصوات المجهورة مساحةتعبيرية , ذات قوة ووضوح سمعي في الحديث مع الصاحبة , إذ تتقاطع الأصوات بين جهر يقرع الأذن بشدته وهمس يبعث دلالات الحب و الرضى, لينجح القصيبي في تمالك نفسه وإظهار قوته وقناعته بما يخبئه القدر أمام صاحبته مع ذلك الهدوء والسكون النفسي المنبعث من تزاوج الجهر بالهمس ,بل إنه يفضل أن يبدأ خطاب الصاحبة بالهمزة المجهورة التي تتطلب جهداً عضلياً وطولاً زمنياً أردفها بالياء المطلقة لتمثل حالة العشق القوية بقوة الهمزة والممتدة بامتداد الياء المطلقة لتضفي على مطلع خطاب الصاحبة أهمية تستقطب ذهن الملقي , ثم تكاد حروف الهمس تتلاشى عند الحديث عن الوطن فيتصدر الجهر ليتناسب مع الصوت العالي المتولد عن الذات المنفعلة بحب الوطن حتى فيمعرض رثاء النفس,إن في طغيان الأصوات المجهورة وماصاحبها من حروف مد لتصوير دقيق للحالة الشعورية التي تنامت عند الشاعر بالحديث عن وطنه الذي لن يبق شامخاً إلا بقوة أبنائه وشدة انتمائهم إليه, فتلاءمت حروف الجهر بما لها من

---

[41]-الإيقاع الداخلي في القصيدة المعاصرة (بنية التكرار عند البياتي نموذجا), الصحناوي,(94-95)

[42]- البنيات الأسلوبية في الشعر الجزائري المعاصر, شعر السباب نموذجا, هيمة , (46)

[43]- شعر إبراهيم ناجي , دراسة أسلوبية بنائية , الجيار ,(79)

[44]- ينظر:البنيات الأسلوبية في لغة الشعر الحديث, السعدني(33)

تعديل من خلال WPS Office

وضوح سمعي بحالة انفعال الذات عند الشاعروعلو خطابه, فيم تبدت بعض حروف الهمس على استحياء بين الفينة والأخرى.
ويختم القصيبي لوحاته بمناجاة الله بين جهر يرمز إلى شدة تعلقه بلقاء الله , وهمس يلمح إلى الرضا الكامل والثبات الديني والنفسي , بيد أنه يعمدإلى الإيحاء التعبيري والإيقاعي من خلال الحركات الطويلة في مناجاة الله جل شانه,معبراً من خلالها عن امتداد تعلقه بعالم الغيب , لتستوعب تلك الحركات تجربة الشاعر الإ نسانية إذ إن المد" أصوات مفتوحة تستوعب الإنسانية بأبعادها السارة وغير السارة"[45] و قد منح المد بحضوره اللافت في كل لوحات القصيدة قيمة موسيقية فرضت إيقاعها على إحساس المتلقي , وهو إيقاع بطيء تناسب مع هدوء الشاعر وصوت الرضى المنبعث من وجدانه منذ مطلعالقصيدة , كما أن تكرار المد في صيغة جموع القلة (أسفار_ أعماري_ أسرار_ أسوار_ ....) منحت النص امتداداً إيقاعياً لايكاد ينتهي.
لقد استطاع القصيبي أن يستثمر الصفات الصوتية لبعض الحروف, ويوزعها بكثافة على الأبيات متآزرة مع الأحرف التي تماثلها في خصائصها , لتخرج بنسق يغلب على النص بإيقاعه الخاص,كتوظيفه لحروف الجهر والهمس , لتتجلى براعة القصيبي في تكرار الأصوات بطريقة تزيد من كثافة النص وتبرز قوة العلاقة بين الصوت والمعنى, فهاهو ذا يبدأ قصيدته بتكرار كثيف لحرف السين (خمس – ستون-سئمت – الساري- الأسفار – أسفار) فأحدث تكرار السين توافقاً صوتياً ضمن للنص الانسجام الإيقاعيالموحي بالتؤدة والهدوء, أما مزاوجة الألف بالراء والتي شكلت قوافي الجمل الشعرية فضلا عن تكثيف وجود حرف الراء -إذ لايكاد يخلو بيت من أبيات القصيدة منه - فقد حقق نغما إيقاعيا يبعث على الاسترخاء و السكينة المنبعثة أساساً من وجدان الشاعر.
ويمتد التكرار في قصيدة القصيبي إلى الألفاظ داخل سياق القصيدة ليحقق تكرار ا لألفاظ إيقاعاً دلالياً استطاع أن يوسع من أفق النص, ويعبر عن معانيه بطريقة ممتدة في مفاصل القصيدة إذ للتكرار " فاعلية في إنتاج الدلالة أحيانا, وفي إنتاج الإيقاع الخاص أحيانا, ثم مزج الإيقاع بالدلالة أحيانا ثالثة"([46]), لقد بدأ الشاعر قصيدته مستدعياً معنى الرحيل وهو الباعث الرئيس للقصيدة فتكرر لفظ (الأسفار – أسفار) بل إنه يستعذب معنى الرحيل فيكرر مايدل عليه بقوله (ارتحالا- الساري - السرى) , ويلح على فكرة الرحيل التي وإن وردت اسما فإنها تتكرر فعلا كذلك في قوله (وإن مضيت) مترددة في أكثر من موضع من القصيدة مع الصاحبة ومع الوطن مما يمنحها آفاقاً دلالية وأبعاداً نفسية متنامية .
وفي مقابل فكرة الرحيل وتكرار مايدل عليها من الألفاظ يشير الشاعر إلى ذلك العمر الذي قضاه وآن له أن يغادره, فيكرر لفظ (عمري- أعماري- عمري) في حديث الصاحبة ليوحي بارتباط نفسي عميق بين عمره وصاحبته. لقد كان من شأن التكرار أن " يسلط الضوء على نقطة حساسة في العبارة ويكشف عن اهتمام المتكلم بها وهو – بهذا المعنى – ذو دلالة نفسية قيمة يفيد الناقد الأدبي الذي يدرس الأثر

[45]- المدخل اللغوي في نقد الشعر, قراءة بنيوية, السعدي (62)
[46]-البلاغة العربية قراءة أخرى, عبدالمطلب,(404)

تعديل من خلال WPS Office

ويحلل نفسية الكاتب"([47])

واتسعت ظاهرة التكرار في قصيدة القصيبي فتجاوزت الحرف واللفظ لتصل إلى الجمل والعبارات, التي ترددت في النص على مساحات متباينة أدت إلى تماسك البنية النصية وتلاحمها, وهذا " التتابع الشكلي يعين في إثارة التوقع لدى السامع, وهذا التوقع من شأنه أن يجعل السامع أكثر تحفزاً لسماع الشاعر, والانتباه إليه"([48])

لقد ألحت فكرة الرحيل على القصيبي فجعلها بؤرة دلالية محورية خصبة وسعى إلى تكرارها وربطها في كل مرة بمفهوم مختلف , ففي حديثه لصاحبته يقول أولا:

وإن مضيت فقولي لم يكن بطلا لكنه لم يقبل جبهة العار

فيؤكد أن ذلك الرحيل سيكون ممزوجا بفخر السيرة المشرقة التي لم تدنس بالعار, ثم يعود ليذكرها ثانية بقوله:

وإن مضيت فقولي لم يكن بطلا وكان يمزج أطوارا بأطوار

مؤكدا بأنه عاش كغيره من البشر بين الصواب والخطأ

وأخيرا يستدعي المعنى ذاته بالتكرار في حديثه للوطن :

وإن مضيت فقولي لم يكن بطلا وكان طفلي ومحبوبي وقيثاري

مشيراً إلى فكرة الانتماء احتياجاً وحباً وفناً .

إن تكرار الشطر الأول كاملا في ثلاثة مواضع متفرقة من القصيدة يحمل في طياته أبعاداً نفسية وإيحائية وإنسانية عميقة تنسجم مع موقف الشاعر في رحلة الوداع , ذلك الموقف الذي استطاع أن يتجاوز الذات الشاعرة متسللا إلى ذات المتلقي ومؤثراً فيها .

لقد أسهمت البنية الصوتية الإيقاعية المتنوعة في قصيدة القصيبي في بناء الإ يقاع الشعري للقصيدة على المستوىالداخلي, أما الإيقاع الخارجي فينتظمهالوزن و القافية , والوزن :" عبارة عن قوالب عروضية يستعان بها في تنظيم الإيقاع وتوجيهه"([49])وقد أشار قدامة بن جعفر إلى الوزن في تعريفه للشعر قائلا :" قول موزون مقفى يدل على معنى "([50])لقد اختار القصيبي البحر البسيط لينظم عليه مرثيته لما في هذا البحر من طواعية في تفعيلاته تنسجم مع تجسيد تجربته الوجدانية في التعبير عن رحلة الوداع , والبسيط من البحور التي تتواءم مع المعاني المتناقضة , فهو أخو الطويل في الجلالة والروعة ([51]) وكأن الشاعر أراد أن يثير الملقي بعظم موضوعه وجلالته , ولاسيما أن بحر البسيط بحر مركب, يتكون من تفعيلتين تتكرران أربع مرات مما يوحي باتساقه مع التركيب النفسي و الوجداني للشاعر بين الحياة والموت , ثم إن البسيط لايكاد يخلو من أحد نقيضين أما العنف وإما اللين ([52]),وهذا اللين انسجم مع موضوع رثاء النفس انسجماً تاماً , والبسيط " متنوع التفاعيل إضافة إلى مايحدثه من تنوع نغمي وتلوين

[47]-قضايا الشعر المعاصر, الملائكة, (276)

[48]- قراءات أسلوبية في الشعر الجاهلي , ربابعة, (38)

[49]- الإيقاع والزمان , فخر الدين (29)

[50]- نقد الشعر , ابن جعفر(17)

[51]- ينظر: المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها, الطيب, (508/1)

[52]- ينظر: المرجع السابق (508-507/1)

تعديل من خلال WPS Office

إيقاعي,وارتفاع وهبوط في درجة الإيقاع الداخلي للكم الموسيقي"([53]).
أما القافية فتشكل مع الوزن إطارا خارجيا للقصيدة وعنصراً بنائياً بالغ الأهمية في تكوين النص الشعري, وتتكون من " عدة أصوات تتكرر في أواخر الأشطر أو الأبيات من القصيدة وتكرارها هذا يكون جزءاً هاماً من الموسيقى الشعرية "[54], وتحدث القافية :" نسقاً من الأصوات التي تتكرر في نهايات الأبيات ,وهي بذلك تشبه الفاصلة الموسيقية التي تتردد فتؤثر في المتلقي وتعمق الإحساس بإيقاع الشعر"([55]), وقد نسب النقاد إليها كبير أثر في العملية الشعرية , إذ لايمكن أن تنكر صلتها بعاطفة الشاعر , فقد تسلس له قياد النظم, وتفتح له آفاق القول, فيتمكن من تصوير تجربته الشعورية بكل أبعادها , كما يمكن بالمقابل أن تصرف الشاعر عن غايته في تصوير التجربة فيهيم في أودية لا شأن له فيها ([56]) وقد أجاد القصيبي في اختيار قافية المطلقةالمردوفة التي تؤدي دوراً إيقاعياً ودلالياً في النص إذ تلفت " الاهتمام بإطالة حركة الروي , فتجعل الكلمة منبورة من جانب , وتقف عليها من جانب آخر ,فيؤدي الوقف دلالة خاصة في تعلق السمع في الإنشاد بكلمة القافية"([57]) وقد ساعدت القافية المطلقة المردوفة على التنفيس عما يجول بداخل القصيبي , إذ جاء حرف الروي الراء وهو من الأصوات المتوسطة عند القدماء و التيجمعت بين الشدة والرخاوة ([58]) بين حرفي مد هما ألف الردف الهادئة المتأملة , وياء الوصل المنحدرة بانكسار في أخر البيت متناسبة مع انحدار الشاعر إلى نهاية رحلته في الحياة .

2- **المستوى التركيبي:**

المستوى التركيبي أحد أهم مستويات التحليل الأسلوبي الذي يتجسد به المستوى العاطفي للغة ,ويتمثل في الأشكال اللغوية المنحرفة على صيغة , والانحراف أو العدول يمثل الطاقات الإيحائية في الأسلوب([59]), والجملة اللغوية "مبنى لغوي مستقل غير محصور بمقتضى أية تركيبة قواعدية في مبنى لغوي أكبر"([60]), ويكشف الأسلوب التركيبي في الدراسة الأسلوبية عن الروابط النحوية بين الدوال اللغوية التي تفضي إلى الدلالة السياقية العامة للنص , وعليه فإن " ائتلاف تلك الكلمات بعضها ببعض ينشأ عنه معان جديدة"([61]), وقد يلجأ المبدع أو الشاعر إلى ا لالتزام بتراكيب خاصة تفصح عن تجربته الذاتية, و حالته الوجدانية التي اقتضت منه اختيار نسق معين لمفرداته اللغوية إذ"من المؤكد أن كل تركيب أسلوبي في الخطاب يأتي استجابة لرؤية الشاعر,وذلك أن التركيب اللغوي هو الذي يمنح الخطاب كيانه وخصوصيته ."([62])

---

[53]-البنية الإيقاعية في شعر شوقي , السعران(63)
[54]-موسيقى الشعر , أنيس (246)
[55] -علم القافية , يوسف, (3.)
[56] - ينظر : العاطفة والإبداع الشعري , العاكوب, (251)
[57]- البنية الإيقاعية في شعر شوقي , السعران (150)
[58]- ينظر : سر صناعة الإعراب, ابن جني,(1/ 61)
[59]- ينظر : الصور المدينة , عبد الواحد,(15)
[60]- وصف اللغة العربية دلاليا, علي, (273)
[61]- السابق (217)
[62]- الأسلوبية وتحليل الخطاب, السد, ,(1 /172)

تعديل من خلال WPS Office

لقد انطلق القصيبي في بناء تراكيبه من توظيف الجمل بين فعلية واسمية, يكشف كل منهما عن غايته النفسية والوجدانية, وإن غلب تواتر الأفعال في القصيدة مما يشعر بغلبة الطابع الدرامي الذي قامت عليه , واعتمد فيها الشاعر الحوار الداخلي مع ذاته وصاحبته ووطنه ثم مع الخالق عز وجل, أما الجمل الاسمية فجاءت بنسبة أقل مصورة الحالة الوجدانية التي يعانيها الشاعر من ثباتموقفه ,واستقرار نفسه وتجاوبها مع ماوصل إليه من قناعة لن تتغير , لذلك يبدأ مطلع قصيدتهبنظام إسمي في قوله :

خمس وستون في أجفان إعصار

اتفق هذا الرضى مع خاصية الثبات المنبعثة من الجملة الفعلية , التي تفيد بأصل وضعها ثبوت الحكم فقط بلا تجدد واستمرار([63]), وهو الثبوت الذي حكم القصيبي به على حياته دون أن يرى لتجددها واستمرارها أي قيمة , لقد وظف القصيبي جمله الاسمية لخدمة الوصف القائم على ظواهر حسية متضاربة تفصح عن حقيقة الموصوف , فهو مشرق ثابت في إشراقه في وصف صاحبته (وأنت يابنت فجر في تنفسه) لكنه شاحب وكئيب في وصف ماتبقى من عمره (إنني شبح) (والأغصان شاحبة) مؤكدا تأثير غروب عمره السيء على كل ماحوله بأفعال خبرية ثابتةمتلاحقة لتأكيد معنى الفناء , مما أضفى على المعاني جواً من السكون و الثبات من خلال البعد الدلالي المتمثل في تأكيد صفات الموصوف , بل إن القصيبي يلجأ إلى تقوية الوصف وتثبيته في ذهن المتلقي من خلال إسناد الجملة الاسمية إلى الفعل في قوله (الطير هاجر) و (الورد يبكي) مازجا بين الوصف والتقرير مما أوحى بمعنى الثبات على صورة الرحيل.

لقد منح التركيب الاسمي خصوصية دلالية للنص استطاعت أن تعبر عن الحالة الشعورية للقصيبي " فالجملة الإسمية يلجأ إليها المبدع للتعبير عن الحالات التي تحتاج إلى التوصيف والتثبيت , ذلك أن الاسم يخلو من الزمن ويصلح للدلالة على عدم التجدد, وإعطائه لونا من الثبات "([64]) و وليس هناك ماهو أجدر بالثبات من الحالة التي تسللت إلى الشاعر بين رحيل قادم من وراء غروب العمر , وحسن دائم لامرأة مازالت تسعى خلف ذلك الغروب .

أما الأفعال فكانت حاضرة في كل أبيات القصيدة, ولعل الفعل الماضي قد هيمن بحضوره على المضارع -ولا عجب في ذلك - إذ يتناسب زمن هذا الفعل مع فكرة الرثاء ويكشف عندلالة نفسية هي الشعور بالزمن الماضي الذي لم يترك للحاضر و المستقبل حضوراً, فهو يبدأ لوحته الأولى في حديثه لنفسه بأفعال ماضية متعاقبة (سئمت, مللت, هدأت , ألقتك , تعبت , برحوا , بقيت, اكتفيت , أضناني , شكا) وهذه الأحداث المقرونة بالزمن الماضي جاءت ردة فعل حادة من الشاعر تجاه ما لاقاه في الخمس وستين عاما استمرت في محاورة الأعداء التي عبر عنهافقط بـ الفعل المضارع ليدل على التجدد والاستمرار (يحاورونك).

ويستمر توظيف القصيبي للأفعال في مرثيته ليتمكن من إضفاء الحركة والحيوية المنبعثة من تجربته الشعورية والتي ارتقت إلى تفاعل المتلقي وتجاوبه مع تلك

[63]-ينظر: علوم البلاغة, المراغي, (55)

[64]- دراسة الأسلوب بين المعاصرة و التراث , درويش , (153)

تعديل من خلال WPS Office

التجربة , إذ ينتقل في خطاب الصاحبة بين الأفعال الماضية والمضارعة ليدل على شمولية الزمن , بين فعل ماض يعبرمن خلاله عن تلك العلاقة الصامدة الثابتة (أحببتني, منحتني) المتعدية من المحبوبة الفاعلة إلى الشاعر , و فعل مضارع متجدد بتجدد ذلك الحب واستمراريته (يعشقني) (يأوي إلى قلبي) (ويسكنه) (يحمل في أضلاعه داري), ويتجلى المضارع في الحديث عن ذات الله عز وجل ومعرفته الأزلية وكنهه المتجدد المستمر علماً ومعرفة :

ياعالم الغيب ذنبي أنت تعرفه وأنت تعلم إعلاني وأسراري

ليختم قصيدته بماض لا اختلاف فيه مستدعيا إيمانه الذي منّ به الله عليه (مننت به علي) و تشوقا للقاء الله قديم قدم الزمن الماضي (أحببت لقياك)

لقد كان في تكثيف الجمل الفعلية في مرثية القصيبي دلالة تعبيرية وأسلوبية نتيجة العامل النفسي الذي أفصح عن الانفعالات المختلجة في صدر الشاعر والتي كونت بدورها البناء الفني للقصيدة.

ومع ما تقدم من جمل مثبتة يتسلل النفي في أبيات القصيدة بين الفينة والأخرى , مزاوجا بين أداتين هما (لم / ما), لقد وظف القصيبي النفي لتأكيد الحقيقة المثبتة وساهم التكرار في ذلك التأكيد عندما كرر النفي (لم يكن بطلا) ثلاث مرات بحالات متعددة , فاستدرك بنفي آخر لتوضيح النفي الأول في قوله: (لكنه لم يقبل جبهة العار) فهو إن لم يصل إلى مستوى البطولة فكفاه شرفا التزامه بمبادئ لم توقعه في براثن العار والخزي, ثم يوظف النفي مقابل الإثبات لخلق حالة من التوازن في الخطاب أوحت بحالة الرضى والسكون لدى الشاعرفي قوله :(لم يكن بطلا وكان يمزج أطواراً بأطوار) وقوله أيضا : (لم يكن بطلا وكان طفلي ومحبوبي وقيثاري) , لقد أسهمت هذه المزاوجة التركيبية بين النفي والإثبات في رسم الملامح الإنسانية والشعورية للقصيبي من خلال حضور قيم وتغيّب قيم أخرى.

واستطاع القصيبي أن يعبر من خلال النفي عن سلطته الذاتية وقوة إرادته وثباته على مبادئ لم يحد عنها من خلال تتابع النفي وتكراره (لم أبع قلمي ولم أدنس بسوق الزيف أفكاري) بل إنه يبلغ أقصى درجات السلطة الذاتية في السيطرة على عمق إيمانه وعدم الانهزام أمام رغبات النفس مهما بلغت الأوزار :

وأنت أدرى بإيمان مننت به علي ماخدشته كل أوزاري

وتقاطع النسق الإنشائي مع النسق الخبري في مرثية القصيبي , وهذا التنوع في ا لأنساق اللغوية يعكس انفعالات الشاعر وتجربته الشخصية , إذ إن أسلوب الشاعر الذي يتشكل منه نصه الأدبي هو " تكوين عقلي يخرج في صورة مادية مكونة من ألفاظ لها نسق خاص تؤدي معنى متكاملا ً يتمثل في الذهن ثم يرمز لها بالرمز ا لائق بها "([65])ويتجلى جمال النسق الإنشائي في لغة الشاعر بقدرته على إثارة المتلقي بما يستغله الشاعر من قدرات تعبيرية وإيحائية تفصح عن انفعالاته ووجدانه , وقد تنوع الإنشاء في مرثية القصيبي بين استفهام وأمر ونداء .

ويتردد الاستفهام في القصيدة بأغلب أدواته مشكلا ً سمة أسلوبية أفصح من خ لالها القصيبي عن مكنونات نفسه مع إشراك المتلقي فيما يشعر به .

وتنوع الأداة في الاستفهام يظهر ميل نفسية الشاعر إلى الاستقصاء , وتعطش

[65]- بناء الأسلوب في شعر الحداثة , عبد المطلب,(18)

تعديل من خلال WPS Office

ورغبة في الوصول إلى حقيقة يطمئن إليها ([66]) وقد ترددالقصيبي بين الهمزة , وأين , وماذا , وورد الاستفهام بالهمزة متبوعاً بما النافية في حواره مع ذاته (أما سئمت, أما مللت , أما تعبت) استفهاما مجازيا يصور من خلاله ماعاناه وما كابده في هذا الوجود حتى وصل إلى مرحلة السأم والملل والتعب , وقد أعطت أداة النفي للاستفهام بعداً نفسياً ودلالياً منح المعنى قوة وأثراً في ذهن المتلقي , لأن ا لاستفهام أسلوب يحرك النفس ويدعو المتلقي إلى أن يشارك المستفهم فيما يحس ويشعر ([67]), وفي موضع مناجاة الله جل شأنه استفهم الشاعر بالهمزة فقط (أيرتجى) وهو استفهام تقريري ينبعث من حقيقة إيمانه بعفو الله , والتقرير من معاني الاستفهام المجازية([68]) , كما جاءت(أين الاستفهامية) للإنكار والتوجع من حال الشاعر مع رفاقه.

و تكرر الاستفهام بماذا (ماذا أقول , ماذا تريدين)في حديث صاحبته وهو لا يأتي با لاستفهام هنا طلباً لفهم أمر يجهله , بل إنه يترجم من خلاله عجزه أمام وصف رفيقة عمره , ثم إنكاره وحيرته في حقيقة تعلق هذه المرأة بشبح هائم في خريف العمر, لقد أسهم تكرار الاستفهام الممتد على مساحة النص أولا , ثم تكثيفه باستخدام أداة واحدة ثانيا - مع انزياحه عما وضع له - في التعبير عما اعتور فكر الشاعر واختلج نفسه بين ثنائية الموت والحياة.

أما صيغة الأمر التي هي في أساس وضعها تدل على " طلب حصول الفعل من المخاطب على وجه الاستعلاء مع الإلزام"([69]) بيد أنها تأتي في مرثية القصيبي منزاحة عما وضعت له , إذ جاءت تعبيراً عما في وجدان الشاعر وتجسيداً لما يشعر به من أحاسيس بألفاظ تخرج عن معناها المألوف لتكون أصدق تعبيراً في وجدان المتلقي ([70]) وقد ورد الأمر للصاحبة بصيغة واحدة وهي صيغة (افعل) مسندة إلى ضمير المخاطبة في معرض حديثه عن الزوجة , وحديثه عن البلاد. وقد مثل هذا ا لاستدعاء متنفساًدلالياً يوحي بشعور القصيبي بالرضى والهدوء والاطمئنان لذلك الرحيل , فتكثف الأمر خمس مرات مع زوجته , (دعيني) (اقرئي) ومكرراًالفعل (قولي) الذي انزاح به عن دلالته الأصلية إلى الإيحاء بالتفاؤل والرضى من خلال الرسالة الشعرية الموجهة للمخاطبة , بل إن تكثيف الفعل(قولي) يمتد أيضا في خطاب البلاد منزاحا عن الاستعلاء إلى دلالات نفسية ارتبطت برؤية الشاعر للموت والحياة .

وألقى الانزياح المعنوي بظلاله على النداء أيضا , فالقصيبي لاينادي نداء حقيقياً بهدف إقبال شخص , وهو المعنى الوضعي للنداء, وإنما ينادي لأغراض أخرى ك التعجب والتنبيه في (أيها الساري) و التودد والتلطف في (أيا رفيقة عمري) (يابنت) و الانتماء والتعظيم في (يابلادا) والاستغاثة في (ياعالم الغيب). بل استطاع القصيبي أن يحسن توظيف أدوت النداء وينوع في استخدامها مع مايتوافق من دلالات تلك الأدوات وحالته النفسية والشعورية , فيستخدم (أيها)

[66]- ينظر: خصائص الأسلوب في الشوقيات , الطرابلسي ,(352)
[67]- ينظر : أساليب الاستفهام في القرآن الكريم , فودة , (296)
[68]- ينظر: المطول (شرح تلخيص مفتاح العلوم)التفتازاني , (419)
[69]- جوهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع , الهاشمي , (46)
[70]- ينظر : علم المعاني تأصيل وتقييم , طبل, (55)

تعديل من خلال WPS Office

لنداء الساري القريب ,ملمحاً إلى نفسه وانتهاء تلك الرحلة مع الحياة, أما مع الصاحبة فهو يستخدم (أيا) لنداء البعيد وكأنه يصرخ من أعماقه ومن عالم بعيد إلى تلك التي كانت القريبة روحاً وجسداً, بل إن أسلوب الإضافة في المنادى قد منح المعنى عمقاً دلالياً ,لأن هذا النسق يتيح للشاعر بناء تركيب صوري معبر يغني عن ذكر كثير من التفاصيل([71]), وتأتي الياء في مواضع مختلفة , وهي أكثر الكلمات دورانا في الكلام وأعمها, تستعمل لنداء البعيد والقريب والغافل والمقبل, وفي الا ستغاثة والتعجب([72]) , وقد تنوع المنادى بها عند في مرثية القصيبي, ساعده على ذلك أن النداء نسق ثري يتصرف في كثير من المعاني ولاسيما في اللغة الفنية إذ قد يتوجه النداء لغير المخاطب أصلا فينادى الجماد الأصم ([73])كقوله (يابلادا)
وهكذا أسهم الانزياح المعنوي الاستفهامي في توليد المعاني لدى القصيبي وفي تجلي دلالاته النفسية والشعورية .

3- المستوى التصويري:

الصورة الشعرية أهم ركائز النص الشعري , وهي تسهم في أخذ بعض الدوال اللغوية إلى مدلولات مختلفة منزاحة عن أصلها اللغوي الذي وضعت عليه تنشأ من تكوين الشاعر النفسي والوجداني ومن تجربته الإنسانية عامة, وهي " الوسيط الأ ساس الذي يستكشف به الشاعر تجربته ويتفهمها كي يمنحها المعنى والنظام"([74]) , ولذلك تعد الصورة أحد أهم دعائم القصيدة, بل إن الصورة الشعرية هي التي تميز قصيدة عن أخرى " باعتبارها عنصراً حيوياً من عناصر التكوين النفسي للتجربة الشعرية"([75]), وتعددت الدراسات التي ربطت بين الصورة الشعرية وعلم النفس وعرفت بأنها " التذكر الواعي لمدرك حسي سابق كله أو بعضه في غياب المنبه الأ صلي للحاسة المثارة .....والتعبير عن تجربة حسية نقلت بطريق البصر أو السمع أو اللمس أو الذوق , أي أن بعض الحواس أو كلها مجتمعة تدرك عناصر التجربة الخارجية , وينقلها الذهن إلى الشعر بطريقة من شأنها أن تثير في صدق وحيوية ا لإحساس الأصلي"([76]).
وقد تمكن القصيبي في حديقة الغروب من إثراء الصورة الشعرية بتنوعها بين الكنايات السريعة, والاستعارات المبتكرة , والتشبيه, وبين التجسيد والتشخيص , و الخروج بالمجرد إلى المحسوس والعكس ,مستمداً من عناصر الطبيعة مادة لصوره , معبراً من خلالها عن أحاسيسه ومشاعره.
وبالنظر إلى الصور المتكئة في تشكيلها على خاصية التشابه في حديقة الغروب فقد كان للصور الاستعارية حضوراً طاغياً, ولا غرابة في ذلك إذ من دلالات الا ستعارة الدقة والعمق والتعقيد, بينما يغلب على التشبيه البساطة لذلك فهو يتبدى في مرثية القصيبي بعمقها النفسي على استحياء , وربما كان جنوح القصيبي للا ستعارة نابع من طبيعة تكوينه الوجداني العميق المنبعث في قصيدته بين

[71]- ينظر: لغة الشعر عند الجواهري , غالب,(86)
[72]- ينظر: شرح الرضي على الكافية, حسن, (1/ 345)
[73]- ينظر : علم المعاني تأصيل وتنظير, طبل,(85)
[74]- الصورة الفنية عند النابغة الذبياني ,الزواوي , (101)
[75]- جدلية الخفاء والتجلي, أبو ديب (19)
[76]- البلاغة والأثر النفسي, دراسة في تراث عبدالقاهر الجرجاني , بانقيب (39)

تعديل من خلال WPS Office

ثنائياتالموت والحياة ,والشيب والشباب, والبقاء والرحيل , ولعل تلاشي الحدود بين طرفي الصورة الاستعارية كان مشابها لتلاشي الحدود بين حياة القصيبي ورحيله .
لقد دل تكثيف الاستعارة عند القصيبي على نزعته الإيحائيةل-" بث الحياة و التشخيص في لجمادات "([77]) ولا شك بأن الصور التي تحظى بعنصر الإيحاء تكون " أبعد تأثيرا في النفس , وأكثر علوقا في القلب من الصور التقريرية الوصفية"([78])
بدأ القصيبي لوحاته الاستعارية منذ البيت الأول :
خمس وستون في أجفان إعصار أما مللت ارتحالا أيها الساري وكأنه يرسم لوحة حياته متجسدة في (أجفان إعصار) من خلال استعارات متداخلة بدأت بتشبيه الحياة بالإعصار أولا , ثم استعارة صفة الأجفان عند الإنسان لذلك الإعصار وكأن حياة الشاعر معلقة في أجفان إعصار توشك أن تقع مع أي غمضة, وقد حقق القصيبي انزياحا دلاليا أثار الدهشة والانتباه لدى المتلقي " وتكمن علة الدهشة و الطرافة فيما تحدثه المفارقة الدلالية بمفاجأة للمتلقي بمخالفتها الاختيار المتوقع"([79]) بل لقد أحدث التناقض بين دلالات المضاف والمضاف إليه في المعنى - بما ترمز إليه الأجفان من حماية للعين مقابل ما يرمز إليه الإعصارمن هدم وخراب – إلى زيادة الغرابة والإدهاش في الصورة.
ويعمد القصيبي إلى مفارقة دلالية أخرى بالانزياح من معنى تعارف الناس عليه إلى معنى مناقض تماما عندما يستعير للمرض مصطلح السمار في قوله :
أحببتني وشبابي في فتوته وما تغيرت والأوجاع سماري
فالأصل في معنى السمار هم الصحب في ليالي البهجة والأنس والسرور , بيد أن القصيبي جعل المرض والأوجاع هم أولائك السمار , فأحرج الأوجاع في صورة بشرية جسدت مشاعره الوجدانية ,وميله إلى الإيحاء مستعيناً بعطيات الطبيعة من حوله.
ولعل أبرز مايلاحظ على استعارات القصيبي جنوحه إلى التشخيص باستعارة صفات بشرية لرسم صوره مما أضفى على مرثيته فاعلية وحيوية أراد أن يؤكد من خلالها حضور الإنسان بكل صفاته وتأثير ذلك الحضور على كل ماحوله.فهو إذ ينفي عن نفسه الانزلاق في مهاوي الرذيلة والخطأ يعبر عن ذلك بإضافة (جبهة), وهي من صفات الإنسان إلى(العار) فيقول:
وإن مضيت فقولي لم يكن بطلا لكنه لم يقبل جبهة العار
ثم هاهو ذا يؤنسن الطبيعة ويخرجها في صورة استعارية تشخيصيةعلى هيئة إنسان عندما يستعير للورد صفة البكاء في قوله : والورد أطرق يبكي عهد آذار , بل إنه لم يكتف فقط بصفة البكاء وإنما سبقتها صفة الإطراق بانحناء الرأس حزنا وكمدا .
وعندما يناجي الله جل شأنه متوسلا عفوه يؤكد عمق إيمانه وعقيدته ويتوصل إلى ذلك باستعارة تشخيصية جديدة مستعيرا للمشبه (الأوزار)صفة من صفات الإ نسان في صورة عميقة بديعة مفاجئة خارجاً بالمجرد إلى المحسوس:

[77]- تحليل الخطاب الشعري مفتاح,(126)
[78]- الصورة في شعر بشاربن برد,نافع,(57)
[79]- في النص الأدبي دراسات أسلوبية إحصائية, مصلوح, (194)

تعديل من خلال WPS Office

وأنت أدرى بإيمان مننت به علي ما خدشته كل أوزاري
ويربط القصيبي في مرثيته بعض الصور بخيط دلالي نفسي واحد يرفع من قيمة الصورة الشعورية , فهو إذ يعبر عن الموت يسعى إلى استخدام صور تشير إلى مفهوم الانتقال من حياة إلى أخرى مقصياً فكرة الفناء, فالموت رحلة جديدة وهي بداية حياة أخرى وليست النهاية لذلك يعبر عنه بقوله : (وإن مضيت) (حان إبحاري)مشبها رحلة الموت بالمضاء مرة والرحلة البحرية مرة أخرى.
ويتجلى التشبيه كنمط ثان من التصوير القائم على المشابهة في مرثية القصيبي ولكن على قلة , ومن ذلك قوله : (وأنت يابنت فجر في تنفسه) فهو يشبه محبوبته فيما تمنحه من أمل وسكون وسكينه بالفجر في بداياته, مع مايمنح من تجدد واستمرار ,مستلهماً الطبيعة في بناء صورة مفعمة بالجمال والأمل والبياض.
وفي صورة مناقضة تماما يصف فيها نفسه قائلا : (إنني شبح يهيم مابين أسوار وأغلال) يفصح عن حالته النفسية في صورة قاتمة مظلمة, استمدها كذلك من الجانب الآخر للطبيعة والقصيبي يعتمد التشبيه كأسلوب بسيط في إخراج الصورة ويسقط أدواته لينصهر المشبه بالمشبه به وهو الطبيعة بحسنها وقبحها وهذا الا نصهار " بين الطبيعة والحالات النفسية للشاعر يعلي من قيمة النص ويزيد من توهجه وشاعريته في إثارة المشاعر والعواطف وفي تفجير طاقات المشاركة"([80])
وإن عمد في إحدى صوره إلى إثبات أداة المشابهة الكاف , فإن غرابة الصورة وحداثتها وقدرة القصيبي على خلق معنى لعب فيه الخيال دورا هاماً أتاح له أن يبني " من العناصر المعروفة من قبل صورة جديدة"([81]) قد منح الصورة التشبيهية قيمة دلالية ونفسية عميقة لاتقل شأنا عن الاستعارات الأخرى في قوله:
هذي حديقة عمري في الغروب كما رأيت مرعى خريف جائع ضار فهو يشبه خريف العمر بالوحش الذي خلع عليه صفة الجائع الضاري , الذي سيرعى في حديقة عمره بنهم سريع فلا يبقى منها أثرا.
وكما تعددت الصور الشعرية المعتمدة على المشابهة فقد وظف كذلك الصور المتكئة على التداعي من خلال تكثيف الكنايات في مرثيته.
والكناية تعبير مجازي يعتمد انزياح الكلمة من حقلها الدلالي إلى حقل آخر فهي " مبنية على التوافق, قوامها تسمية شيء ما باسم آخريشكل مثله كلا مستقلا تماماً, إلا أنه مدين للآخر أو أن الآخر مدين له بوجوده"([82]), ويكمن جمال الصورة الكنائية بتجاوزها التصريح إلى الإيماء إليه بما يرادفه, وقد أشار الجرجاني إلى ذلك بقوله :"الكناية هي إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة , ولكن يجيء إلى معنى هو مرادفه فيومئ إليه , ويجعله دليلا عليه"([83])
وكما نمت الصورة الاستعارية والتشبيهية عند القصيبي في أحضان الطبيعة واستقت منها مادتها, فقد مثلت البيئة مصدراً أساسياً من مصادر الصورة الكنائية في مرثية القصيبي , فعندما يتحدث عن حبه لزوجته وعلاقته معها فإنه يلجأ إلى الطبيعة ليكني بها عن عجزه أمام وصف حقيقة ذلك الحب,فهو يتمنى لو استطاع

[80]-البنية الدرامية في شعر إيليا أبي ماضي , خليفة, (58)
[81]-الصورة الأدبية , ناصف (39)
[82]-دليل الدراسات الأسلوبية , ميشال (75)
[83]- دلائل الإعجاز , الجرجاني ,(66)

تعديل من خلال WPS Office

أن يتخذ من البحر قافية , والغيم محبرة والأفق أشعاراً , كناية عن الكثرة والغزارة والاتساع والعمق والامتداد إلى مالا نهاية, بل لقد خرج بالصورة الكنائية من محيط المجرد إلى المجسم المدرك حسياً مما أسهم في عمقها والإحاطة بدلالاتها النفسية .

لقد افتتح القصيبي كناياته واصفا حاله مع أعدائه , بقوله :

أما سئمت من الأعداء مابرحوا يحاورونك بالكبريت والنار

فاختار أقصى مايمكن أن يلحق الضرر بالإنسان وهي الكبريت و النار ليكني به عن شدة خصومة هؤلاء الأعداء التي قد تبدأ بشرارة من كبريت وتتفاقم حتى تصبح ناراً في محاولة منه لتصوير التحديات التي واجهته في رحلة الحياة ثم اكتفائه منها. بل إنه عطف على تلك الصورة الكنائية صورة كنائية أخرى تعاضدها في فكرة الاكتفاء من الحياة بقوله :

والصحب؟ أين رفاق العمر هل بقيت سوى ثمالة أيام وتذكار؟

إذ يكني أيضا عن قلة الأصحاب وتلاشيهم من حولة بقوله (ثمالة) والثمالة الماء القليل في أسفل الحوض أو السقاء([84]) فيجمع في كنايتين متتاليتين بين النقيضين الأعداء والصحب للدلالة على معنى واحد وهو اكتفائه من الحياة ورضاه برحلة الموت.

ويستمر تكثيف الكنايات وتتابعها في معرض الحديث مع الصاحبة , فهو إن اتخذ من الطبيعة مادة كنائية في وصف عشقه لزوجته فإنه يتخذ منها أيضا مادته في التعبير عن خريف العمر الذي يعيشه في قوله: (الطير هاجر والأغصان شاحبة) كناية عن إقفار حديقة عمره من أي أثر للحياة, فكان تأثير الكناية نابعاً من خروجه بالمعنى إلى المحسوس عبر حركة ذهنية استطاعت كسر المستوى السطحي و الوصول إلى المستوى العميق بفعل حالة الشاعر النفسية وانفعالاته الوجدانية.

وتتسع الدلالة النفسية للبنية الكنائية عندما تتضافر مع بنية أخرى فتنصهران في صورة واحدة لها عمق إيحائي ونفسي عميق ,وذلك عندما يصف القصيبي نفسه مكنياً عن وفائه وإخلاصه وثباته على الحق , في حديث بثه لصاحبته :

أن ساءلوك فقولي لم أبع قلمي ولم أدنس بسوق الزيف أفكاري

فنقل المجرد إلى المحسوس في صورة استعارية كنائية مدمجة , أوحت بنوازع الشاعر النفسية ورضاه الكامل عن نفسه وهو في رحلة الوداع الأخيرة.

الخاتمة

[84]-لسان العرب (ثمل)

تعديل من خلال WPS Office

وختاما ,, فقد جاءت هذه الدراسة النقدية للكشف عن الأثر النفسي في رثائية الشاعر غازي القصيبي لنفسه والتي عنونها بـ (حديقة الغروب) وهو شاعر سعودي سجل حضوره في عالم الشعر الحديث , وقد عمدت الدراسة إلى الكشف عن الجوانب النفسية للشاعر من خلال دراسة القصيدة وتقسيمها إلى مبحثين عني المبحث الأول بالدلالة النفسية للجانب الفكري , وعني الثاني بالدلالة النفسية للجانب الأسلوبي , وخلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج جاءت على النحو التالي :

3- يمكن للقصيدة أن تكون مفتاحا للكشف عن نفسية الشاعر ونوازعه النفسية من خلال تحليل الناقد الفكري والفني للقصيدة وتفكيكها للولوج إلى أعماق الشاعر.

4- مرثية القصيبي خرجت في شكل حوار فكري على أربع لوحات خاطب فيها (نفسه, زوجته , وطنه , وختمها بمناجاة الله جل شأنه) وهذه الذوات الأربع مثلت أهم محاور حياته ومؤثراتها وشكلت التكوين النفسي والوجداني للشاعر.

5- بالرغم من أن القصيدة جاءت في غرض الرثاء الذاتي إلا أنها قدمت تصورات جميلة عن رضاه النفسي وعلاقته بزوجته ووطنه والله , فجاءت أفكاره مفصحة عن مستكنات ذاته التي طبعت على حب الله والزوجة والوطن, وحب الجمال والطبيعة.

6- حافظ القصيبي على النظام العربي القديم للقصيدة فنظم على البحر البسيط, والتزم قافية واحدة ساعدته على تجلي حالته النفسية والشعورية , وغني الجانب الفني في القصيدة بأنغام موسيقية ابتداء من الصوت الداخلي حتى الوزن الخارجي في نظام إيقاعي بديع, وتزينت بالصور لشعرية المبتكرة و المتنوعة في تشكيلها ومصادرها التي اعتمدت الطبيعة ملهماً أولا لها, مع ماصاحبها من تنوع للتراكيب والبني , فتضافرت كل تلك المعطيات وخلقت للقصيدة دلالات نفسية ووجدانية , انبعثت من نوازع الشاعر الذاتية, وتسربت إلى المتلقي فأحدثت أثرا كبيرا.

قائمة المصادر والمراجع

تعديل من خلال WPS Office

- الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي أصوله وقضاياه, أبوالرضا,سعد,ط1, الرياض, مكتبة المعارف , 1401ه- .
- الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي , فيدوح,عبدالقادر,د.ط,دمشق, منشورات اتحاد الكتاب العرب, 1994م.
- الاتجاه الأسلوبي البنيوي في نقد الشعر العربي, قاسم ,عدنان حسين,ط 1,دمشق,دار ابن كثير, 1992م.
- أساليب الاستفهام في القرآن الكريم ,فودة, عبدالعليم , د.ط,القاهرة , مؤسسة دار الشعب , د.ت.
- الأسلوبية وتحليل الخطابالسد,,نور الدين,د. ط الجزائر, دار همة د.ت.
- الإيقاع الداخلي في القصيدة المعاصرة (بنية التكرار عند البياتي نموذجا), الصحناوي,هدى مجلة جامعة دمشق,المجلد 30,العدد 1+2, 2014م.
- الإيقاع والزمان,فخر الدين ,جودت,ط1,بيروت,دار المناهل للطباعة والنشر و التوزيع, 1995.
- البلاغة والأثر النفسي, دراسة في تراث عبدالقاهر الجرجاني , بانقيب, عبدالله عبدالرحمن رسالة ماجستير , جامعة أم القرى, 1422ه-
- البلاغة العربية قراءة أخرى,عبدالمطلب, محمد,ط1 , القاهرة,الشركة المصرية العالمية للنشر,لونجمان, 1997م.
- بناء الأسلوب في شعر الحداثة عبد المطلب,محمد, ط2,القاهرة , دار المعارف,1995م.
- البنية الدرامية في شعر إيليا أبي ماضي ,خليفة, أحمد يوسف,ط1,الا سكندرية ,دار الوفاء للطباعة, , 2004م.
- البنيات الأسلوبية في الشعر الجزائري المعاصر, شعر السياب نموذجا, هيمة ,عبدالحميد ط1,د.م,مطبعة همة , 1998م,
- البنية الإيقاعية فيشعر شوقي,السعران,,محمود,د.ط, , الرياض ,مكتبة بساتين المعرفة للطباعة والنشر, د.ت.
- تحليل الخطاب الشعري مفتاح ,محمد,ط 3 ,الدار البيضاء,المركز الثقافي العربي , 1992.
- جدلية الخفاء والتجلي,أبو ديب, د. كمال,ط4, بيروت, دار العلم للملايين, 1959 م.
- جوهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ,الهاشمي, السيد أحمد , د.ط, ,بيروت دار الفكر للطباعة والنشر, 2000م.
- حديقة الغروب, غازي عبدالرحمن القصيبي, ط1, الرياض, مكتبة العبيكان,1328 ه-.
- خصائص الأسلوب في الشوقيات,الطرابلسي,محمد الهادي,د.ط, تونس,منشورات الجامعة التونسية , 1981م.
- دراسة الأسلوب بين المعاصرة و التراث درويش, أحمد,د.ط, القاهرة , دار غريب

تعديل من خلال WPS Office

للطباعة والنشر, د.ت.
- دلائل الإعجاز ,الجرجاني,عبدالقاهر,تصحيح :محمد السيد رشيد,, ط 6,القاهرة,مكتبة محمد علي , 1380ه.
- دليل الدراسات الأسلوبية , ميشال, جوزيف,د.ط,بيروت , المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر, 1407ه- .
- ديوان امرئ القيس, ضبطه وصححه مصطفى عبدالشافي,ط5,بيروت , دار الكتب العلمية,2004م.
- ديوان طرفة بن العبد, تحقيق مهدي محمد ناصر الدين,ط3,بيروت, دار الكتب العلمية, 2002م.
- ديوان لبيد بن ربيعة,د.ط, بيروت , دار صادر, د.ت.
- ديوان مالك بن الريب, حياته وشعره. القيسي, نوري حمودي, مجلة معهد المخطوطات العربية,مج 15, 1398ه-.
- الروافد المستطرقة بين جدليات الإبداع والتلقي ,فتوح أحمد,حمد,د.ط,الكويت, منشورات جامعة 1998م.
- الرومانتيكية, هلال محمد غنيمي ,د.ط,القاهرة,نهضة مصر للطباعة والنشر و التوزيع,د.ت.
- سر صناعة الإعراب, ابن جني ,أبوالفتحعثمان,تحقيق:د حسن هنداوي , ط 1,دمشق, دار القلم 1985.
- سيرة شعرية , غازي عبدالرحمن القصيبي, ط3, جدة, تهامة للنشر و المكتبات,1424ه-
- شرح الرضي على الكافية, تعليق:حسن, يوسف, د.ط,د.م, جامعة قاريونس,1398م.
- الشعر كيف نفهمه ونتذوقه ,درو,إليزابيث,ترجمة : محمد إبراهيم الشوش,د. ط,بيروت,د.م, 1961م
- شعر إبراهيم ناجي , دراسة أسلوبية بنائية , الجيار ,شريف سعد,د.ط, القاهرة , الهيئة المصرية العامة للكتاب, 2008م.
- صحيح البخاري, البخاري,أبي عبد الله محمد بن إسماعيل,تحقيق : محمد زهير الناصر,ط1, دمشق, دار طوق النجاة, 1422ه-.
- الصور المدينة, عبدالواحد ,عهود,ط1,عمان , الأردن , دار الفكر للطباعة والنشر, 1999م.
- الصورة الفنية عند النابغة الذبياني, الزواوي, خالد, ط 1,د.م. لونجمان , 1992م.
- الصورة في شعر بشاربن برد,نافع ,عبدالفتاح,د.ط, عمان, الأردن , دار الفكر للنشر , 1983.
- الصورة الأدبية , ناصف, مصطفى , د.ط, بيروت دار الأندلس, , د.ت.
- العاطفة والإبداع الشعري ,العاكوب, عيسى عليط1,دمشق, دار الفكر , 1423ه-
- علم النفس والأدب, د الدروبي, سامي,د.ط, مصر, دار المعارف , 1971.

تعديل من خلال WPS Office

- علم القافية , يوسفحسن عبدالجليل, ط 1,القاهرة ,مؤسسة المختار للنشر و التوزيع, 2005م.
- علوم البلاغة, المراغي ,أحمد مصطفى, د.ط, بيروت , دار القلم , د. ت.
- علم المعاني تأصيل وتنظير, طبل ,حسن, ط 1, , المنصورة, مكتبة الإيمان, , 1420ه.
- عيار الشعر , ابن طباطبا,محمد أحمد العلوي, وتحقيق عباس عبدالستار ,ط1, بيروت, دار الكتب العلمية , 1982
- غازي القصيبي حياته ومختارات من شعره, د. الصفراني,محمد,د.ط, الكويت,مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري, 2011 .
- فن الشعر, أرسطوطاليس, ترجمة بدوي عبدالرحمن, ط 2 ,بيروت,دار الثقافة 1973م.
- في النص الأدبي دراسات أسلوبية إحصائية, مصلوح ,سعد, ط3 , بيروت ,عالم الكتب للنشر والتوزيع , 2002م.
- قراءات أسلوبية في الشعر الجاهلي ربابعة,, موسى, ط1, الأردن, دار جرير للنشر والتوزيع, 2010م.
- قضايا الشعر المعاصر, الملائكة, نازك ط8, بيروت, دار العلم للملايين, د.ت.
- مستويات البناء الشعري عند محمد أبوسنة(دراسة في بلاغة النص), الطوانسيشكري,د.ط, القاهرة,الهيئة المصرية العامة للكتاب,1998م.
- من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده, أحمد, محمد خلف الله , ط 3,د. م,دار العلوم للطباعة والنشر, 1404ه- .
- مناهج النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق, ديتشس,ديفد, ترجمة د. محمد يوسف نجم, د.ط,بيروت,دار صادر 1967م.
- لسان العرب
- لغة الشعر عند الجواهري , غالب ,علي ناصر, ط1, الأردن ,دار الحامد, 1429.
- المدخل اللغوي في نقد الشعر, قراءة بنيوية, السعدني,مصطفى,د.ط,الا سكندرية,منشأة المعارف, د.ت.
- المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها, الطيب, عبدالله , ط 4, السودان , دار جامعة الخرطوم للنشر, 1991م
- المطول (شرح تلخيص مفتاح العلوم), التفتازاني,سعد الدين بن مسعود , تحقيق : عبدالحميد هنداوي , د.ط. , بيروت , لبنان ,دار الكتب العلمية , 1422ه -
- موسيقى الشعر أنيس, إبراهيم, ط6,القاهرة, مكتبة الأنجلو المصرية , 1988.
- النقد الأدبي الحديث بداياته وتطوراته, د. القاعود, حلمي محمد,ط1, المملكة العربية السعودية, دار النشر الدولي, 1427ه-.
- نقد الشعر ,ابن جعفر, قدامة, تحقيق: كمال مصطفى ,د.ط,, القاهرة مكتبة الخانجي, د.ت.

تعديل من خلال WPS Office

- وصف اللغة العربية دلاليا, علي, محمد يونس,د.ط, طرابلس , ليبيا,جامعةالفاتح, 1993.

تعديل من خلال WPS Office